الأفغان بين تأييد الرحمن وكنود الإنسان

بقلم الدكتور عبدالله عزام

بدأ يقرأ القرآن وانا اجلس مقابله ثم أطبق المصحف ونظر الي قائلا:

ما قرأت القرآن الا وشعرت انه غض طري يتنزل هذه الساعة.

قلت في نفسي: انها بركات الجهاد وصدق الله العظيم (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)

• ان هذا القرآن لا يفتح اسراره لفقيه قاعد بارد.

قلت له: كم تقدر - حسب تقديرك البشري - المسافة الزمنية الباقية لنصركم واقامة دين الله فوق ارضكم لأن المجتمع الاسلامي ضروري كالماء والهواء.

فقال لي: اظن ان النصر قريب - بإذن الله - ولكن لا تنسى يا أخي اننا لا نقاتل من اجل النصر، انما نقاتل لأن الجهاد فرض.

قلت له: الا تظن ان العالم الاسلامي قد قصر كثيرا حيالكم.

فقال لي: ان كان البشر يغمضون اعينهم فرب العالمين لا تاخذه سنة ولا نوم وان كان الناس يجحدون حق الاخوة عليهم فرب الناس لا ينسى.

«وكأي من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم».

واستطرد قائلا:

عندما اعتقل محمد داود، شباب الحركة الاسلامية ١٩٧٣ وتول الشيوعيون من زبانية بابراك كارمل - مستشار داود آنذاك - التعذيب بوسائله الوحشية وانت تعلم من هم الشيوعيون خلقا وسلوكا وقلبا!! وكان التعذيب في وزارة الداخلية فكانوا يغلقون الشوارع التي تمر بجانب وزارة الداخلية حتى لا تفزع اصواتنا المارين في الشوارع العامة، اذ كانت اصواتنا تحت التعذيب تسمع على بعد مئات الامتار.

كنت اقول في نفسي ونحن في تلك المحنة المزلزلة والسياط تأكل من اجسادنا:

هل في الارض اناس يدرون عن هذه المجموعة المسلمة؟

وما كنت اعلم ان الله سيجعل قضيتنا عالمية يسمع العالم كله بها. وواصل صاحبي حديثه مسترسلا وهو يدير في ذهنه شريطا طويلا من الذكريات فقال:

لقد فكرنا في بداية عملنا الاسلامي «ان نستاجر» غرفة نلتقي بها مع الشباب الذين نريد ايصالهم بالله - عز وجل - وتقوية صلتهم بهذا الدين وتربيتهم على هذه العقيدة الصافية والشريعة الغراء فاقترضنا اربعين روبية (ما يعادل دينارا كويتيا) ودفعنا اجرة الغرفة وفي الشهر الثاني لم نجد اجرة الغرفة فاضطررنا لتركها.

وانت ترى ان الله بارك بالمسيرة حتى اصبحت الآن شبحا رهيبا تجاه العالم الكافر يقض مضجعه ويؤرق اجفانه.

فقلت في نفسي: انها المسيرة الصادقة وبأبي الله - الا ان يتم نوره - وانها الستارة التي جعلها رب العزة اداة لقدره. فلقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسيرته في خط التغيير للعالم كله بنواة من العبيد والفقراء.

ففي صحيح البخاري عن عمار بن ياسر قال (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه الا خمسة اعبد وامرأتان وابوبكر).

فقد ابتدأت مسيرة الرحمة الانسانية ببلال وزيد وعامر بن فهيرة وابي فكيهة - مولى صفوان بن امية - والشقران (ورثه رسول الله صلى الله عليه وسلم) من ابيه. واما المرأتان فخديجة وام ايمن او سمية.

بهؤلاء الفقراء الضعفاء ابتدأت الحياة الحقة، وبمثل هؤلاء يحصل التغيير في كل مرة في واقع الارض، ولذا فإن الاعتراض الاول الذي يوجهه الملأ المستكبر في كل حقبة زمنية ضد النبي المبعوث.

«وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي»

«قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه، قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون» الاعراف ٧٥-٧٦.

وعندما سئل هرقل ابا سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل اتبعه الفقراء ام الاغنياء فقال ابو سفيان: بل الفقراء فقال هرقل: (هؤلاء اتباع الانبياء) رواه البخاري وتابع صاحبي حديثه قائلا:

في بداية تفجير الجهاد، وفي ايام تراقي كنا نرسل خمسة من المجاهدين مع كل واحد منهم بندقية شهدت الحربين العالميتين ثم تأتينا الاخبار منهم لقد غنمنا خمسمائة بندقية، سبعمائة بندقية...

ان قدر الله غالب، والله يحكم لا معقب لحكمه. وانا قضى امرا فإنما يقول له كن فيكون.

ثم لفت انتباهي الى آية «وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم» فقال: انا مطمئن وواثق لأن هذه الآية تحصر النصر بيد الله لأن الاستثناء جاء بعد النفي والاستثناء انا كان بعد النفي فهو للقصر والحصر ثم تابعت الآية التي بعدها فوجدتها.

(ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين) آل عمران ١٢٧.

ليقطع: متعلق بنصركم أي ليهلك طرفا من الذين كفروا بالقتل والاسر.

او يكبتهم: أي يذلهم بالهزيمة او الاسر.

فينقلبوا خائبين: أي يرجعون خاسرين فاشلين بعد الهزيمة والخسارة.

الا ترى أن هذه الآية كأنها تتنزل الآن لتصف المعركة بين الشعب الأفغاني الاعزل وبين قوات الحلف الاحمر في وارسو. وكأنها تجسد خزي الشيوعيين وخيبتهم وارتكاسهم وتثبيت المؤمنين وتبث الحياة في عروقهم.

ومن خلال امله العريض بنصر الله. يقص علي بعض الاحداث التي كان يرى يد الله من خلالها تدبر الامر وتجري الاقدار.

«فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى»

قال لي:

لقد حكم علي بالاعدام ونفذ الحكم على الورق وبقيت حيا. اذ في ليلة التنفيذ، قاد جنود تراقي (١١٧) مجاهدا الى المقصلة وكنت مع اخ آخر معزولين عن المجاهدين خشية ان نؤثر عليهم ونبث روح التضحية فيهم، وقامت بين المجاهدين المقرنين بالاصفاد وبين جند تراقي معركة وقتل الاخوة وقتل الشرطة الذين يسوقونهم للاعدام وجاء الذي يوقع وثيقة التنفيذ فوجد الجميع قتل فحمل الورقة ووقعها فبقيت حيا حيث كان اسمي بين الشهداء.

فقلت له: لقد كنا نخشى ان تصبح افغانستان مقاطعة دائمة من مقاطعات الاتحاد السوفياتي.

فقال لي: هو كذلك، لولا الجهاد، اذ ان روسيا دخلت افغانستان في نصف يوم.

قال لي: عندما دخل الروس ارادوا ان يتظاهروا نفاقا باطلاق الحريات ففتحوا ابواب السجون واطلقوا السجناء فخرجت وعندما نمى الى آذانهم اني حي مطلق السراح. هاجموا بيتي باثنتي عشرة دبابة وقبل ان يصلوا بيتي توقفت الدبابات فجأة واخذت تحاول ان تتقدم الى الامام ولكن عبثا حاولوا ومن خلال الصوت الهادر في محاولة التشغيل عرف أهلي ونظروا من فوق السطح فرأوا الدبابات قفزوا من البيت وجاء الجند مشاة اذ ان الدبابات حبسها حابس الفيل. فلم يجدوا سوى أمي فاوقفوها هافية القدمين فوق الثلج. ولم يرعوا فيها شيخوخة ولا شيبا ولا ضعفا.

الحرة التي تداس بالهولها، انينها الذي يحرك الصخور في جبالها، فيصرخ الملك يهتز في انتظار ومضة لمن ملك واخذ اصحابه يقصون علينا بعض الكرامات التي حدثت على مرأى او مسمع منهم.

قال لي بلال: ابن عمي (جل) كان يمشي الى الجهاد في الظلام ذات ليلة غاب قمرها ولا يكاد يبصر الطريق فإذا بنور بين يديه ينير له.

وقال لي محمد ياسر: هذا مولوي شيرين خرج من المعركة وقميصه مخرق بالرصاص دون ان يمس جسده شيء.

وهذا مجاهد في المستشفى اخرجوا رصاصة من دماغه ولم يمت.

وقال لي امان الله احمد: كنت قائدا لسرية في منطقة جوزجان عددنا اربعمائة واشتبكنا مع الشيوعيين وعددهم (١٥٠٠) فقتلنا منهم حوالي ثلاثمائة وهزم الباقون وانضم الينا قسم منهم فقالوا

ان الذين صنعوا بنا الاعاجيب هم عشرة يلبسون البياض ويحملون الرشاشات

قال امان: ولم يكن بيننا احد يلبس البياض وليس معنا رشاشات.

وقال لي سيد محمد: سننتصر بإذن الله لأن الجندي الشيوعي يبيع سلاحه بثلاثمائة روبية (أقل من عشرة دنانير كويتية) بينما ثمنه في السوق الحرة حوالي مائة ضعف لهذا الثمن. وبعد ان يبيع سلاحه يسرق سلاح رفيقه اثناء نومه، او العكس: يسرق سلاح رفيقه اثناء نومه ويبيعه ويحتفظ بسلاحه.

وهنا انثالت علي الخواطر وقلت:

١ - الا ليت قومي يعلمون، ليت الذين يموتون شبعا وبطنة يغطنون لشعب يموت جوعا. فليت كل اسرة في بلاد المسلمين خاصة في بلاد البترول الغنية المترفة تستضيف اسرة افغانية يوما في الشهر. وتضع ثمن غذاء يوم واحد في الشهر في صندوق الجهاد الافغاني.

٢ - الا ليت قومي يقدرون جهود الحركة الاسلامية في الارض.

أ - حفنة من ابناء الحركة الاسلامية في افغانستان فجرت طاقة شعب كامل لتحمي اواسط آسيا وشرقها من المد الشيوعي.

ب - وحفنة من ابناء الحركة الاسلامية في سوريا فجرت الجهاد في شعب فحمت بلاد الشام باكملها من الاستعمار الروسي.

ج - وحفنة من ابناء الحركة الاسلامية في اليمن الشمالي تقف امام المد الشيوعي الذي يطمع ان يرفع الراية الحمراء فوق الحرمين.

د - وحفنة من ابناء الحركة الاسلامية في أرض الكنانة تقف في وجه موجة من التهويد العارمة.

٣ - اذا كانت الجهات الرسمية في العالم العربي تغمض طرفها عما يجري في سوريا من عمليات الابادة بحجة المحافظة على الصلات العربية!! فما عذرهم في تناسي الشعب الافغاني المجاهد وتركه طعما لدبابات ستالين؟

(الهاكم التكاثر، حتى زرتم المقابر، كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون. كلا لو تعلمون علم اليقين، لترون الجحيم، ثم لترونها عين اليقين، ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم.